الخصائص العامة
لمجتمع مكة قبيل الإسلام

أ.م.د. عبد الحافظ عبد محمد الكبيسي
استاذ السيرة النبوية
الجامعة العراقية / كلية الآداب

ملخص البحث

فإنَّ دراسة الخصائص العامة لمجتمع مكة قبيل الإسلام تستأهل استفراغ الجهد فما من دارس لمجتمع مكة بعد الإسلام، إلا ويستدعي منه التعرف على ديانتهم وأخلاقهم ونظم حياتهم قبيل الإسلام.

فمجتمع مكة، له موقفان، موقف العداء، وموقف الولاء، وقبيلة قريش هي التي انبعث منها رسول الله ﷺ، وكان من أبناء قريش آلاف الصحابة، وكان منهم الخلفاء الراشدون، والقواد الذين ثبتوا الدولة الإسلامية، وحملوا راية التوحيد إلى المجال العالمي، فكان تحت قيادتهم هذا البناء الضخم.

ومكة هذه انفردت بمزايا متألقة، انطلاقاً من مكانتها الدينية، ولما صباها الله به من مآثر، فقد ارتبطت جغرافياً بالبيت العتيق، ولذلك كان لقريش سيطرتهم على سدانة الكعبة، فكانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء .

ومن هنا، أصبحت مركزاً جذاباً، ولها مساس في قلب كل المسلمين، وكما ذكرت هفت إليها أرواحهم، وتاقت إليها مشاعرهم، وزاد حنينهم لزيارة ذلك المكان المبارك.

Issue Abstract

The study of the general characteristics of the community such as Mecca, Islam vomiting effort worthy of what the student community to Islam after Mecca, but requires him to identify their religion and morals and life systems such as Islam.

The community of Mecca, his two positions, hostility position, and the position of loyalty, and the Quraysh tribe is boiled off, the Messenger of Allah □, and it was the people of Quraish thousands of companions, and had them Caliphs, and pimp who held fast to the Islamic state, and carried the banner of monotheism to the world area, was under their command This huge building.

Mecca and this is alone the benefits of radiant, on the basis of religious position, and when her youth by God from the exploits, has been associated with the old House geographically, and therefore it was Quraish control over the stewardship of the Kaaba, was the Arabs prefer Quraysh in everything.

Here it is, has become an attractive center, and has a prejudice in the heart of every Muslim, as I mentioned Haft to their lives, and yearned to their feelings, and increased nostalgia to visit this holy place.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فإنَّ دراسة الخصائص العامة لمجتمع مكة قبيل الإسلام تستأهل استفراغ الجهد فما من دارس لمجتمع مكة بعد الإسلام، إلا ويستدعي منه التعرف على ديانتهم وأخلاقهم ونظم حياتهم قبيل الإسلام.

فمجتمع مكة، له موقفان، موقف العداء، وموقف الولاء، وقبيلة قريش هي التي انبعث منها رسول الله ﷺ، وكان من أبناء قريش آلاف الصحابة، وكان منهم الخلفاء الراشدون، والقواد الذين ثبتوا الدولة الإسلامية، وحملوا راية التوحيد إلى المجال العالمي، فكان تحت قيادتهم هذا البناء الضخم.

ومكة هذه انفردت بمزايا متألقة، انطلاقاً من مكانتها الدينية، ولما صباها الله به من مآثر، فقد ارتبطت جغرافياً بالبيت العتيق: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[1]، ولذلك كان لقريش سيطرتهم على سدانة الكعبة، فكانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء[2].

ومن هنا، أصبحت مركزاً جذاباً، ولها مساس في قلب كل المسلمين، وكما ذكرت هفت إليها أرواحهم، وتاقت إليها مشاعرهم، وزاد حنينهم لزيارة ذلك المكان المبارك.

وهنا تكمن أهمية موضوع البحث وسبب اختياري إياه.

منهج البحث: حاولت في هذه الدراسة التاريخية، أن أكون متوسطاً بين الاطناب والإيجاز، مازجاً بين أصالحة القديم وروح المعاصرة فيما بين المصادر القديمة، والمراجع الحديثة، أو فيما بين العناوين وأسلوب العرض.

خطة البحث: قسمت البحث بعد المقدمة، على ستة مطالب، وخاتمة، وأتبعت ذلك بقائمة المصادر والمراجع التي كوّنت لُحمة البحث وسُداه.

ذكرت في المقدمة، فكرة البحث، وأهمية دراسته، والفائدة المرجوة من ورائهِ مع بيان منهج البحث فيه.

أما **المطالب**، فهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: تناولت فيه جغرافية مكة المكرمة، وتاريخها، وتركيب سكانها.

المطلب الثاني: خصصته عن الحالة الاجتماعية، وجزأته على محورين:

- **المحور الأول:** العادات والأعراف الاجتماعية.
- **المحور الثاني:** الأسرة وعلاقة الرجل بأهلهِ وبني عمّه وقبيلته.

المطلب الثالث: كان عن الحالة الدينية ومعبودات المكيين.

المطلب الرابع: عرضت فيه الحالة التجارية ومصادرها.

المطلب الخامس: تركز على إدارة مكة ونظام الحكم فيها.

المطلب السادس: اشتمل على الحالة الثقافية، وتوضيح لمعنى كلمتي (الأُمية والجاهلية) الواردتان في القرآن الكريم والسُنّة النبوية.

أما الخاتمة: فلخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من هذه الدراسة، وبناءً على ما تقدم ذكره فإنّ ما في هذه الدراسة التاريخية من سَعة موضوعها، وتشعُّب جوانبها، أرجو أن اكون قد وفقت إلى إبراز النقاط الجوهرية لصلب موضوعي، ولم آلُ جهداً في تقصي الحقيقة، فقد كانت حريصاً في انتهاج حقائق البحث العلمي المعاصر، ولا أدعي العصمة لما كتبت، فما فيها من صحيح فهو من آلاء الله عليّ، وما جاء فيها من خطأ فهو محض اجتهادي، وعذري أني اجتهدت الصواب وقصدتهُ: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

المطلب الأول: جغرافية مكة وتاريخها ، وتركيبها السكاني

مكة: يجدر بنا معرفة تاريخ مكة، وتحديد الزمن الذي أصبح فيه هذا المكان بلداً وهذا ما لم أعثر عليه بشكل مؤكد لبداءة سكنى هذا الوادي، يرجع إلى أيام سيدنا إبراهيم وأبنه إسماعيل –عليهما السلام– أي في التاسع عشر قبل الميلاد، فقد كانت هاجرَ ورضيعها إسماعيل عليه السلام أولُّ الساكنين بمكة، ثم جاءت قبيلة جرهم من اليمن فاستقرّت إلى جوار زمزم، ثم ابتنى إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– الكعبة المكرمة وهي أول بيت لعبادة الله[٣]. وعمدتنا في توثيق هذا القول، قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾[٥] وفي هذا المكان قامت مكة المُشرّفة.

جغرافية مكة: تقع مدينة مكة في بلاد الحجاز في واد منبسط من أودية جبال السُراة، تحيط به الجبال الجرداء من جميع الجوانب إلا من ثلاثة منافذ تصلها بطرق اليمن والشام وفلسطين، ومن أسفل جبل اجياء، إلى ظهر جبل قينقاع مثل ذلك[٦].

ومن جراء هذا الوضع الجغرافي، لم تسقط فيها الأمطار، إلا بصورة غير منتظمة في فصل الشتاء وأوائل الربيع وبصورة شديدة فتسبب سيول جازفة في الوديان والشعاب مما قد يلحق الأضرار بالأبنية التي تقع في بطون الوديان، كما كان يحصل للكعبة المشرفة، ولذا فقد عرفت بأنها: ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾[٧] كما جاء في القرآن الكريم.

ولولا وجود بعض المياه الجوفية التي تم استخراجها بحفر الآبار، لأصاب أهل مكة عنتاً لا طاقة لهم به[٨].

التركيب السكاني: يتكون سكان مكة من طبقات ثلاث:

١) **الطبقة الصرحا أو الصلبية:** هم كل من ينتمي إلى قريش، وهو فهد بن مالك، فإن البطون القرشية التي نزلت مكة كلها تنتمي إليه، ومن مجموعها تكونت القبيلة التي عرفت بهذا الاسم (قريش) وقد جعل القرشيون من أنفسهم أصل المجتمع المكي، وكل من عداهم من العرب الأحرار، وانظم إليهم عن طريق التبعية بالحلف أو الجوار، وقد تميزت قبيلة قريش على قسمين، فالقسم الذي سكن الوادي بجوار البيت عرف بقريش البطاح، والقسم الذي سكن على أطراف مكة عرف بقريش الظواهر(٩).

٢) **طبقة الحلفاء:** هم الذين لا تربطهم مع القبيلة روابط الدم والنسب، وإنما انظموا إليها لأسباب عدة كزواجهم من القبيلة، أو هروبهم من قبيلتهم الأولى وغيرها(١٠).

وكانت مكة ملجأ لكثير من العائذين بحرمها، لحرمتها، ووحدة أهلها، ولذلك كثر الموالي والحلفاء في قريش(١١).

٣) **طبقة العبيد أو الأرقاء:** هم الذين يقومون بخدمة بيوت القبيلة وغالباً يكونون من أسرى الحرب، وعن طريق الشراء من الأسواق، أو استقدامهم من الحبشة لهذا الغرض، ولذلك سُمّو بـــ (الأحابيش)، وكانت هذه الطبقة كبيرة العدد بمكة نظراً لأعمال أهل مكة التجارية الواسعة، وقد كان هؤلاء العبيد من:

أ) أصل أفريقي اشتراهم أثرياء مكة للعمل لهم في مختلف الأعمال ولخدمتهم.

ب) الأسرى البيض الذين كانوا يقعون في أيدي الفرس والروم أو القبائل المغيرة على الحدود، فيباعون في أسواق النحاسة، ومنها ينقلون إلى انحاء الجزيرة العربية للقيام بمختلف الأعمال. وكانوا أغلى ثمناً من الرقيق السود لأنهم أكثر ثقافة(١٢).

وكانت القبيلة[١٣] الأساسية، فيما منذ منتصف القرن الخامس الميلادي، هي قبيلة قريش التي جمعها قصي بن كلاب وأنزلها مكة بعد إجلائه قبيلة خزاعة عنها.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

من المعلوم، أنّ مكة المكرمة تقع بواد غير ذي زرع، غير أن المصادر التاريخية لم تزودنا بمعلومات دقيقة عن الحياة الاجتماعية في مكة قبل استقرار قبيلة قريش فيها بحدود منتصف القرن الخامس الميلادي[١٤]، كما لو تزودنا المصادر التاريخية برصد واضح عن عدد سكان مكة في زمن قصي بن كلاب الذي انتهت إليه السيادة المطلقة في مكة[١٥]، فكانت إليه الحجابة[١٦]، والسقاية[١٧] والرفادة[١٨]، والندوة[١٩]، واللواء[٢٠]، فحاز شرف مكة كله[٢١].

والذي نريد التركيز عليه، في هذه الحالة على جانبين:

١) العادات والأعراف الاجتماعية.

٢) الأُسرة وعلاقة الرجل بأهله.

١) العادات والأعراف الاجتماعية:

المجتمع المكي، شأنه شأن سائر الأمة العربية في عموم الأخلاق التي كانت مألوفة عندهم، ومن العادات والتقاليد الحسنة وأقرّها الإسلام:

أ) الإيمان بالله وبغيره.

عرف مجتمع ما قبل الإسلام، الإيمان بالله والقَسَم بغيره[٢٢]، وقد أكّد القرآن العظيم القَسم بالله عندهم، بقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[٢٣].

فأقر الإسلام الإيمان والقسم، لكنه هذب ذلك، فجعل اليمين مختصة بالله تعالى ناهياً عن الحلف بغيرهِ سبحانه، لقوله ﷺ : ((من أراد أن يحلف فليحلف بالله، أو ليذر) [٢٤].

ب) مكارم الأخلاق:

من الأخلاق الحسنة التي تحلى بها مجتمع ما قبل الإسلام: الكرم، الشجاعة، الوفاء بالعهد، العفة، الإحسان إلى الجار، وهذه المكارم حث عليها القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٢٥).

وقوله سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(٢٦).

وقوله جلّ وعلا: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾(٢٧).

ج) **الجوار:**

المراد بالجوار هنا: استجارة المستجير مخافته حتى يبلغ مأمنه مطمئناً.

وكانوا يقولونه في معرض الفخر: فلان منيع الجار، حامي الذمار. وقد أجاز الإسلام للمسلم أن يجير في الحرب، ويؤمنّ رجلاً كان أو امرأة(٢٨).

هـ) العادات الخُلقية:

ساد مجتمع ما قبل الإسلام، عادات منها: قصّ الشارب، المضمضة، السواك، الاستنجا، تقليم الأظافر، نتف الإبط، حلق العانة، الختان ، الاغتسال من الجنابة، غسل الموتى وتكفيفهم(٢٩).

فقد أقرّ الإسلام هذه الشمائل الطيبة، بل أوجب بعضها وهي:

الغسل من الجنابة، غسل الموتى وتكفيفهم ، الاستنجاء، الختان للرجال، وعد البقية من الفطرة، قال ﷺ: عشرة من الفطرة، قص الشارب

وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، وقال الراوي – نسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة[٣٠].

وعموماً فقد (كانت طبائعهم تتراءى فيها الفطرة الإنسانية السليمة التي لم تنصهر بعد في أي بوتقة محولة، إلا أنهم كانت تعوزهم المعرفة التي تكشف لهم الطريق إلى ذلك) [٣١].

العادات والتقاليد التي شجبها الإسلام:

لم تقتصر العادات الموجودة لدى مجتمع ما قبل الإسلام على العادات الحسنة، وإنما فشت فيهم العادات البتراء التي استحقوا أن يوصفوا بالجاهلية لتمسكهم بها ودفاعهم عنها، ومنها:

القمار والميسرة، القيان، مجالس اللهو، أكل أموال الناس بالباطل، غمط الناس[٣٢]، وأمام هذه المثالب، قال القرآن المجيد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٣٣].

ومن عادتهم قتل أولادهم خشية الفقر، فوبخهم الله بقوله: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[٣٤].

ومن عاداتهم: الحسد واللمز والتفاخر بكثرة الأموال والأولاد، فخوفهم القرآن العظيم: ﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[٣٥].

﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴾[٣٦].

ومن أخلاقهم التي هدمها الإسلام:

ما قاله ﷺ: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنائحة)) [٣٧].

أما المأكولات فهي تعود إلى العُرف والبيئة، وقد وضّح القرآن المعجز الذبائح المحرمة التي كان العرب قبل الإسلام يبيحونها لأنفسهم، فقال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾[٣٨].

٢) الأُسرة وعلاقة الرجل بأهله وأولاده وبني عمّه وقبيلته :

المتأمل في تاريخ العرب قبل الإسلام، يرى واضحاً أن المرأة العربية كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية، فكانت تستشار في مهام الأمور، بل تشارك الرجل في كثير من أعمالهِ[٣٩].

وكان اهتمام العرب بارزاً في اختيار زوجاتهم، فحرصوا على أن تكون الزوجة من المنجبات المتوفرة فيهن النجابة والذكاء والجمال، فعليها يتوقف مستقبل العشيرة ومكانة الجيل الجديد.

وينتج عن المصاهرة بين الاثنين ألفة بين القبيلتين وموالاة بين العشيرتين[٤٠] وبالجملة فإنَّ المُتتبع لأشعار العرب لا يشمّ منها رائحة الصغار والإهانة للمرأة، فجميع الشعراء- تقريباً- قصائدهم التي بها يفاخرون بمحامد قومهم لا يذهبون إلى شيء من ذلك حتى يعطوا المرأة قسطها مما يحب النسيب، ويرون أن شعرهم بدون ذلك يفقد العطر، وتلمس هذا في أشعار حاتم الطائي- شيخ الكرام- وعنترة بن شداد العبسي- شيخ الشجعان[٤١]- وغيرهما.

من أجل ذلك، يمكننا القول: أن علاقة الرجل العربي بأهله كانت على درجة من الرقي والاحترام أكثر مما يخيل إلينا.

وكان جمهور العرب يقترنون بالزوجة بعد رضاء أهلها، كما كان كثير منهم يستشيرون البنات في أمر زواجهن. وينبغي ألا نخلط بين هذا الارتباط بالزواج وبين غيره مما عُرف عن بعض العرب من اجتماع الرجل بالمرأة بغير هذه الطريقة، وهذا الأمر لم يكن يستحسنه جمهور العرب مع ما عرف عنهم من غيرة على الأهل ومحافظة على الشرف، حتى كان من النادر أن يرى الإنسان بنتاً بالغة قد أدركت سِنَّ الزواج، أو أرملة صغيرة في سنَّ لم تتزوج(٤٢).

ولكن على الرغم مما سلف، فلا يعني أن المرأة لم يصبها بخس أو تعسف أو اضطهاد، فقد منيت المرأة في طور الجاهلية بآلام وجروح اجتماعية على صعيد النكاح، والميراث، والطلاق.

فقد اتخذ النكاح صوراً متغايرة، نوع واحد منه أقرّه الإسلام فقط وهو أن يخطب الرجل امرأة من وليّ أمرها، لقاء مهر وشاهدين وبرضا المرأة، (وكانت قريش وكثير من قبائل العرب على هذا النحو في النكاح، فإن الله استخلص رسوله ﷺ (من أطيب المناكح، وحماه من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة) (٤٣).

أما بقية الأنكحة، فقد أبطلها الإسلام ولم يتعرف بها بحال، مثل:

نكاح المقت: وهو زواج الرجل امرأة أبيه بعد وفاته(٤٤)، وفي تحريم هذه الظاهرة قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا** ﴾(٤٥).

نكاح الشغار: أن يُزوج الرجلُ ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق، وفي تحريم هذا النمط، قال ﷺ: ((لا شغار في الإسلام)) (٤٦).

نكاح البدل: إن يقول الرجل للرجل أنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك.

نكاح الزائدة على الأربع: هو أن يجمع الرجل ما يشاء من النساء(٤٧).

هذا ما ألفه بعض العرب قبل الإسلام- وهم الندرة- ومن الحصافة- كما أرى- ألا تُعمّم الأنكحة المقيتة على قريش، وكثير من قبائل العرب.

وحسبنا أن نعلم أنه لم تسب قرشية قط فتوطأ قهراً، ولا يجال عليها السهام(٤٨). وهذا مما امتازت به المرأة في مكة.

ومن عادات العرب ألا يُزوّجوا بناتهم لغير العرب، ولقد حاول كسرى- ملك الفرس- مرة أن يخطب لنفسه من بنات تابعه النعمان بن المنذر- ملك الحيرة- فرفض، وقد دفع النعمان حياته لموقفه ذلك.

ولم يكن عند العرب حدّ لتعدد الزوجات، فقد جاء الإسلام وتحت الرجل الواحد ثمان نسوة، أو عشر، فحصرهن على أربع قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾(٤٩).

ومما لاقته المرأة من هضم لبعض حقوقها قبل الإسلام: عدم الميراث، فقد كان العرب يُورثون بشيئيين:

١) **النسب:** وهم الأبناء الكبار الذي يقاتلون على الخيل، ومن هنا كانوا لا يُورثون النساء والأطفال، وحجتهم: (لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحازم الغنيمة) (٥٠).

٢) **السبب:** ويشمل التبني، الحلف، المعاقدة.

وعليه، فالزوجة كل ما تتركه يكون من حظ زوجها، دون أولادها وأقاربها، على حين أنها لا ترث زوجها في شيء.

ومما عانته المرأة أيضاً، ما كان عليه أمر الطلاق (كان الرجل في الجاهلية يُطلق امرأته ثم يرجعها قبل أن تنقضي عدتها، ولو طلقها ألف مرة كانت القدرة على المراجعة ثانية له) (٥١).

وليس هذا فحسب، فهناك ما هو أدهى وأمر:

طلاق العضل: هو أن يُطلق الرجل زوجته ويفارقها، ثم تدركه الغيرة فلا يأذن لها بالزواج من آخر.

ومن المآسي التي حاقت المرأة أنه شاع في بعض المجتمعات أسد وتميم: وأد البنات.

والوأد: هو دفن البنات وهن أحياء خوفاً من العار، فكانوا يحفرون حفرة فإذا ولدت الحامل بنتاً ولم يشأ أهلها الاحتفاظ بها رموا بها في الحفرة، وهذا من إشتطاط الحرص.

ويقال أوّل من وأد بناته قبل الإسلام: قيس بن عاصم التميمي ويبدو لنا بالنسبة إلى ما نُسب لـــ (قيس بن عاصم) أنه أول من وأد بناته، فيه نظر: لأنه ممن أدرك الإسلام، وأعلن إسلامه، والمتأمل يستبعد التوفيق بين بداية الوأد وإسلام قيس، فالوأد عند ظهور الإسلام وشيك الانقراض.

والذي نخلص إليه :

أنّ حياة المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام بين جانبين متناقضين: جانب سلبي، وآخر إيجابي.

أما معاملة العرب لأبنائهم الذكور فكانت تنطوي على الحنان والمحبة إلا قليلاً من الفقراء والضعفاء كانوا يقتلون أولادهم مخافة الإملاق- وهذا الأمر لا يصح نسبته إلى العرب قاطبة، فما يشيع في مجتمع ضيق لا يتحمله المجتمع كله- وأما معاملتهم للأخ وابن العم، فكانوا ينصرونهم أخطأوا أو أصابوا، عدلوا أو ظلموا.

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

هذا حال العربي مع أهله وأخيه وبني عمّه[٥٢].

أما علاقة العربي مع قبيلته ، فتتلخص :

إذا جني أحدهم جناية حملتها قبيلته، وإذا غنم غنيمة فهي للقبيلة ولرئيسها خيرها وإذا أبت قبيلته أن تحميه لجأ إلى قبيلة أخرى ووالاها، وحسِبَ نفسه أحد أفرادها، الشعور بارتباطه بقبيلة يحميها وتحميه هو المسمى بالعصبية.

وبلغ من التعصب للقبيلة، أن قال دريد بن الصمة:

وهل أنا إلا من غزية إن غُوت غويتُ وإن ترشد غزية أرشد[٥٣]

المطلب الثالث :الحالة الدينية

إنّ أصدق مصدر يبني عقائد العرب قبل الإسلام، ومنهم أهل مكة هو القرآن الكريم، فالقرآن الكريم هو مرآة الحياة الجاهلية، وذلك من خلال الآيات المكية التي تناولت عقائد المكين، ووضحت أنّ العرب المشركين كانوا يقرون بأنّ الله هو خالق الكون والحياة والمدبر لأمورهما نحو قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٥٤].

فمسألة الربوبية لم يختلف فيها أحد، الخلاف في مسألة كونهم لم يخصوا الله وحده بالعبودية، هذا هو الذي حصل فيه الخلاف[٥٥].

إنّ إيمانهم بالله على النحو المشار إليه آنفاً، لم يجعلهم يتجهون إليه وحده بالعبادة، بل أنهم عبدوا إلى جانبهِ آلهة وأصناماً على أمل يجعلهم يتجهون إليه زلفى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[٥٦].

فهم يعرفون الله لكنهم يستشقعون أليه بالآلهة المزعومة كما ذكر القرآن الكريم: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ﴾[٥٧].

إن هذا الاعتقاد يدل على أنّ المشركين كانوا يرون أنّ آلهتهم التي يشركونها في عبادة الله أقل منزلة من الله غير أنها على الرغم من ذلك تتمتع بحظوة خاصة عند الله لكونها قادرة على الشفاعة لهم عنده[٥٨].

وتبع الانحراف في العقيدة: انحراف في العبادة والسلوك والشعائر والشرائع، فإذا بمناسك الحج تدخلها الوثنية، حيث وضعت الاصنام حول الكعبة وجرى الطواف حولها، بالتعري من الثياب أحياناً، وأصبحت

قريش لا تخرج إلى عرفات بل تقف بمزدلفة خلافاً للناس، وكانوا يُسمُون "الحمس"(٥٩).

فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، ذلك قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾(٦٠).

ومن زيادتهم ونقصانهم في العبادة أيضاً: كانوا يرون العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور. ويرون تحريم الجمع بين الحج والعمرة، حتى جاء الإسلام فجوّز الجمع بين الحج والعمرة.

ومما زاده في العبادة: المكاء والتصدية في المسجد الحرام وهما الصفير والتصفيق، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾(٦١).

ومن ذلك استسقاؤهم بالأنواء وذبحهم على النُصب تعظيماً للأصنام ومن معتقداتهم: إنكار البعث: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾(٦٢).

وكان أولُّ من أدخل الشرك إلى أرض العرب، وحملهم على عبادة الأصنام: "عمرو بن لحي بن قمة جد خزاعة" حيث جاء من أرض البلقاء بصنم يقال له: (هُبل) فنصبه في مكة وأمر الناس بعبادتهِ وتعظيمه(٦٣).

وبهذا يتبين تاريخ تحول العرب عن عبادة الله إلى الوثنية.

معبودات المكيين:

من معبودات أهل مكة الوثنيين:

مَناة: وكانت منصوبة على البحر بناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة، وكانت قريش تعظمها.

العُزى: وكانت أعظم الأصنام عند قريش(٦٤).

وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهن الغرانيق العُلى، إنّ شفاعتهن لترتجى.

كما كانوا يقولون: بنات الله وهن يشفعن إليه(٦٥). فأنزل الله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾(٦٦).

وهكذا انتشرت عبادة الأوثان في الجزيرة العربية وشاع في أهلهِ الشرك، فانسلخوا بذلك مما كانوا عليه من عقيدة التوحيد واستبدلوا بدين إبراهيم، وإسماعيل –عليهما السلام– غيره، وانتهوا إلى مثل ما انتهت إليه الأمم الأخرى من الضلالات والقبائح في المعتقدات والأفعال(٦٧). وكان بين العرب أناس مستنيرون فطنوا إلى سوء حالتهم الدينية وحاولوا الارتقاء من الوثنية إلى اعتقادات أرقى منها، ودعوا إلى نبذ عبادة الأوثان والتخلص من عادات الجاهلية كوأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسرة(٦٨).

وممن اشتهر من هؤلاء أربعة نفر، ثلاثة من قريش والرابع من حلفائهم.

فالقريشيون: زيد بن عمرو بن نفيل العدوي بن عدي بن كعب، وعثمان بن الحويرث الأسدي بن عبد العزى، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي(٦٩).

الرابع: عبيد بن جحش الأسدي بن خزيمة وأمه أُمية بنت عبد المطلب(٧٠)، وتوضيح المصادر أنّ عدد الأحناف لم يقتصر على هؤلاء الأفراد من قبيلة قريش، بل ذكر أفراداً آخرين من قبائل شتى منهم: أُمية بن الصلت، وقيس بن ساعدة الأيادي، وأبو قيس صرمة بن أبي أنس من

بني النجار في يثرب، وخالد ابن سنان من بني عبس، أكثم بن صيقي وكانوا يستقسمون عند أصنامهم بالأزلام(٧١).

الزلم: القدح الذي لا ريش عليه، والأزلام مكتوب عليها: أمر ونهي وأفعل، ولا تفعل.

وبرغم ما كان للعرب من الأصنام والأوثان، فأنهم كانوا يُعظمون الكعبة ويجعلونها فوق إجلالهم لأي معبود آخر(٧٢).

ويظهر سبب عبادة الأصنام، بما رواه البخاري عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾(٧٣).

قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى لهم الشيطان إلى قومهِ أن أنصبوا على مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، حتى إذا هلك أولئك عبدت.

قال ابن عباس: وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب(٧٤).

وصفوة القول:

إنّ ديانة المشركين تقوم على الإيمان بالله بأنه الخالق، وعلى الإيمان بتعدد الآلهة، وأنها رموز مقربة إلى الله، هكذا كانت عبادتهم وحياتهم أدينية قبل الإسلام، وهو شرك، وعبادة غير مقبولة عند الله، ومن يقرأ كتاب الأصنام وهو أهم مرجع في هذا الباب يصل إلى حقيقة كبرى هي: أنّ عبادة الأصنام عند العرب لم تكن أمراً جاداً لأنّ فيها كثير من الإهانات للأصنام من عابديها أتباعها تحدث من حين إلى آخر.

المطلب الرابع: الحالة الاجتماعية

أوضح القرآن الكريم، على لسان إبراهيم عليه السلام ، موقع مكة بأنه غير ذي زرع: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ

﴿ٱلْمُحَرَّمِ﴾، ولما كانت بلداً غير ذي زرع، فقد اعتمدت على التجارة وما يجلب لها من الخارج.

ومما ساعدها في نمو تجارتها: موقعها الجغرافي، فهي تقع على طريق القوافل التجارية، [وبذلك فأن مكة ارتبطت بنظام المحطات التجارية الذي أنشأته حكومات اليمن القديمة] (٧٥). بين اليمن جنوباً، والشام شمالاً وكانت قوافل قريش تحمل من أسواق صنعاء: البخور والعطور(٧٦) والحجارة الكريمة وتحمل الجلود ذات الرائحة الطيبة، وتحمل من الشمال: القمح والدقيق والزيت والخمر(٧٧).

وبلغ من اهتمام القرشيين بالتجارة أنهم كانوا يرحلون رحلتين في العام: رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾(٧٨).

إنّ هذا التعامل التجاري الواسع لتجار مكة فرض عليهم التعامل بمختلف أنواع العملات، وكان من أبرزها الدينار البيزنطي، وهو عملة ذهبية، والدرهم الساساني وهو عملة فضية، ولما لم يكن لأهل مكة عملة خاصة بهم فإنهم كانوا يتعاطون العملتين ويقدرون قيمتهما على أساس وزنها باعتبارها معدناً من المعادن(٧٩).

وتشير المصادر إلى أن تجار مكة لم يقتصروا اهتماماتهم الاقتصادية على التجارة، بل تعدوا ذلك إلى استثمار أموالهم في الزراعة خارج مكة وبخاصة في منطقة الطائف، فقد ذكر أنه [كانت للعباس بن عبد المطلب أرض زراعية وكان الزبيب يحمل فيها فينبذ في السقاية

للحاج وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتون بها من مكة فيصلحونها][٨٠].

وكان الربا مظهراً من مظاهر الحركة الاقتصادية التجارية، وكان أهل مكة يعولون عليه كثيراً في تنمية ثرواتهم[٨١]، ويذكر المسعودي، أنّ زعماء قريش كانوا يفرضون ضريبة على من يدخل مكة من التجار الغرباء عن قريش عرفت بـــ (العشر)[٨٢]، وقيل: أن قريشاً سميت بهذا الاسم: لاشتغالها بالتجارة، فلم يكونوا أصحاب زرع، وهي من قولهم: فلان يتقرش المال أي: يجمعه[٨٣].

وبالإضافة إلى حرفة التجارة، كان الحج من مصادر الثروة في مكة، فالحج إلى جانب كونه مظهراً دينياً للعرب قبل الإسلام ووسيلة للاجتماع والالتقاء والتعارف، كان وسيلة من وسائل التكسب للتجارة، فكانت تقام في مواسم الحج أسواق تجارية وأدبية، مثل سوق عكاظ[٨٤]، سوق مجنة[٨٥]، سوق ذي المجاز[٨٦]، وفي هذه الأسواق كان العرب من سائر أنحاء شبه الجزيرة يقدمون بسلعهم الختلفة وبذلك يكون للمكيين سوق تجاري للمبادلة والاستهلاك[٨٧]، وقامت في مكة صناعات بسيطة لصناعة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال، وكذلك عرفوا صناعة الفخار من قدور وجفان وصحافة وأباريق، وصناعة الأسرة والأرائك[٨٨]، وأدوات الكتابة من قرطاس وقلم ومداد ورقوق، وهذه الأعيان والمسميات وردت في آيات من القرآن الكريم مكية ومدنية[٨٩].

وبفضل هذا النشاط أصبحت مكة في بداية القرن السادس للميلاد مركزاً تجارياً ومالياً خطيراً[٩٠].

ولكن لا يعني هذا أنّ مجتمع مكة كانوا جميعاً يعيشون في بحبوحة الرفاه، فقد كان هناك بون شاسع بين عظماء مكة وسواد الناس. ولم تكن الثروة موزعة توزيعاً عادلاً، بل كانت مكدسة عند نفر احتكر

لنفسه المال والثراء. أما الأكثرون فكانوا فقراء حتى ذوي قرابة هؤلاء المثرين، كان أغلبهم فقراء لا يجدون منهم عوناً[٩١].

هذا هو الواقع التجاري الذي كان قائماً في مكة عند ظهور الإسلام.

المطلب الخامس: إدارة مكة

تولى قصي بن كلاب أمر مكة منتصف القرن الخامس الميلادي، وبين قصي وظهور الإسلام مدة لا تزيد على مائة وخمسين سنة[٩٢]. وحديثنا على هذه الفترة- حصراً- ولكي تكتمل الصورة، علينا أن ندخل البيوت من أبوابها.

كان قصي في قومهِ سيداً مطاعاً معظماً، جمع قريشاً من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب، واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة وإجلائهم عن البيت، فملكوه[٩٣].

وبعد موت قصي لم يصبح لقريش زعيم عام ترجع إليه القبيلة، وإنما أصبح يحكمها (الملأ) [٩٤]، وحرص الرجال الملأ على وحدة القبيلة إرضاء العشائر فاستحدثوا عشر وظائف أخرى هي:

العمارة: وهي مراعاة الأدب والوقار في البيت الحرام.

المشورة: هي أنهم لا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه على صاحبها.

الأشناق: هي خيمة تجمع فيها أسلحة الجيش.

الأعنة: هي قيادة خيل قبيلة قريش في الحرب.

السفارة: هي الاتصال بالقبائل الأخرى في المنافرات والمفاوضات.

الأيسار: هي الأزلام التي يضرب بها عند (هبل) كبير الأصنام في جوف الكعبة.

القبة: هي خيمة تجمع فيها أسلحة الجيش.

العقاب: هي راية قريش، وكان من واجب حامل الراية أن يخرجها: إذا حميت الحرب.

الحجابة: هي قفل البيت الحرام وفتحة للزائرين.

الحكومة: هي الفصل في المنافرات والخصومات والأموال المحجرة، وهي الأموال المسماة للآلهة(٩٥).

وقد استمرت هذه المناصب حتى فتح مكة، حين ألغاها النبي ﷺ جميعاً إلا سدانة البيت والسقاية(٩٦).

إن إدارة مكة مؤلفة من مجموعة متنوعة من الوظائف التي تتعاون العشائر القرشية على الاضطلاع بعبئها من خلال قيام أفراد تتوافر لديهم المؤهلات وحسن التمثيل لقومهم في تدبير شؤونها استناداً إلى قواعد الشورى والعرف السائد بين العرب، وكان يطلق على هؤلاء رجال الملأ(٩٧).

وكان أهل ما قبل الإسلام لا يُسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال: السخاء، النجدة، الصبر، الحلم، التواضع، البيان. (٩٨)

ولقد قام أبناء قصي وأحفادهم بأعمال مهمة أدت إلى ازدهار مكة. ابرزت مكانتهم وفضلهم ومكّنت لسيادتهم. وتمكن هاشم بن عبد مناف من عقد الإيلاف وتوسيع نطاق التجارة المكية، وقام بحفر آبار لخدمة قريش والحجيج معاً، وعرف المطلب أخو هاشم بأنسك ومكارم الأخلاق، وعرف عبد المطلب بن هاشم بالفياض لجوده، وبشيبة الحمد لكثرة حمد الناس له.

وهكذا فإنّ عشيرة الرسول ﷺ كانت تتبوأ مكانة اجتماعية خاصة في مكة عند ظهور الإسلام. (٩٩)

لم يكن في مكة جيش نظامي ثابت، فهي مجتمع قبلي، وكان جيشها يتألف من رجال القبيلة أنفسهم ومن ينظم إليهم من رجال القبائل الأخرى التي ترتبط معهم برباط الحلف.

وتقدر قوة قريش الذاتية ألف ونصف من المحاربين[١٠٠] ، ولكن تستطيع أن تستأجر المحاربين أو تجمع من أحلافها بما يفوق هذا العدد بكثير [إن قريشاً جمعوا واستأجروا حياً من قبائل العرب فسارت غطفان وأسد وسليم وقريش ومن دخل فيها فاجتمع منهم نفر جم] وكان مجموع ما جمعته في غزوة الخندق عشرة آلاف مقاتل[١٠١].

ولكن تبقى [القبيلة هي الوحدة السياسية عند العرب في العصر الجاهلي، فهي بذلك مصدر للقوة السياسي والدفاعية، فتعمل على بقاء المجتمع وحفظ كيانه][١٠٢].

ووحدة أهل مكة يفسر شدة مقاومتهم للإسلام عند ظهوره، فقد رأوا فيه تهديداً لوحدة قريش[١٠٣].

ومجمل القول :

إنّ النظام الإداري في مكة، يتكون من أشخاص تؤهلهم مواهبهم وقدراتهم لقيادة الناس، وتدبير شؤونهم، وقد أثبت رجال الملأ نجاحهم في كثير من حسم المنازعات والمنافسات التي تنشأ بين الأفراد والعشائر.

[فملأ مكة أناس محافظون سنتهم التعلق بالقانون الموروث وعلى الناس الطاعة والانقياد] [١٠٤].

إذن رجال الملأ سلطة سيرت أمور مكة منذ عهد قصي بن كلاب، حتى دخولها الدولة الإسلامية عام الفتح ٨ هـ. [١٠٥]

المطلب السادس : الحالة الثقافية

عرفنا من خلال الحالة التجارية، أن مكة محط جذب الناس لغرض التجارة والحج، وفي غضون هذا تشهد أسواق مكة، مختلف المناظرات والمساجلات بين ممثلي القبائل من زعماء وشعراء وغيرهم.

وهذا مما ساعد أهل مكة على التكلم باللغة الفصيحة، وخير ما يدل على ذلك، أن الله – عزّ وجل – وصف رسوله– ﷺ– حال قريش في

بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والمكر واللدد عند الخصومة[١٠٦].

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[١٠٧].

﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[١٠٨].

﴿ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[١٠٩].

ولشهرة العرب ببلاغة العقول، نزل القرآن الكريم بلغتهم، ليكون التحدي من جنس ما اشتهروا به[١١٠].

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[١١١].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[١١٢].

على أنَّ التعليم في هذا العصر لم يكن منتشراً في بلاد العرب- وعلى الأخص مكة- ما كانت تعني بتعليم أطفالهم القراءة والكتابة. ولكن لم يحل عدم انتشار التعليم في مكة دون قيام من يجيد القراءة والكتابة[١١٣].

إن لا ورود كلمات الكتابة ومشتقاتها في القرآن- العزيز- أكثر من ثلاثمائة مرة، وكلمة القراءة ومشتقاتها نحو تسعين مرة، بأساليب متنوعة[١١٤].

مما يدل على أنها كانت معروفة على نطاق واسع في مكة.

وكانت قريش قبل الإسلام، تألف منزل أبي بكر الصديق ﷺ لخصلتين: العلم والطعام[١١٥].

وكان عمر بن الخطاب ﷺ، يشاور المهاجرين والأنصار، ومسلمة الفتح من أهل مكة[١١٦]. فكان لهم أثر في توجيه السياسة في المدينة عززته خبراتهم وخدماتهم التي قدّموها بعد إسلامهم[١١٧]، فاعتمدهم النبي ﷺ في إدارة الدولة الفتية وكذلك الخلفاء الراشدون.

إنّ عدد الذين يُحسنون القراءة والكتابة في مكة كان يفوق الرقم الذي ذكره البلاذري[١١٨]، " سبعة عشر" حينما دخل الإسلام في قريش.

ومما يؤيد هذا الاستنتاج موقف الرسول صلوات الله عليه من أسرى بدر " فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان المدينة فعلمهم فإذا حذقوا فهم فداؤه"[١١٩].

وهذا يفيد أنّ الذين يجيدون القراءة والكتابة في مكة أكثر من أهل المدينة ويعزز هذا أن الآيات المكية تشير إلى معرفة المشركين من أهل مكة للقراءة والكتابة من ذلك قوله عز وجل: ﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾[١٢٠].

﴿ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴾[١٢١]، ﴿ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾[١٢٢].

وفي مكة كانت المعلقات التي اختيرت من سائر الشعر[١٢٣].

الأمية في قريش:

القرآن الكريم والسنة النبوية أوردا كلمتي (الأمية) و(الجاهلية).

قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[١٢٤]، فالقرآن الكريم سمى العرب أمة أمية، جاء في تفسير الرازي[١٢٥]: الأميون أمة العرب كما أنهم أمة أميون لا كتاب لهم ولا يقرءون كتاباً ولا يكتبون، ويقول ابن كثير: الأُميون هم العرب[١٢٦].

وورد أنّ عمر بن الخطاب ﷺ، عندما ضاعف الصدقة على نصارى بني تغلب بدل الجزية قال: إنهم قوم من العرب وليسوا من أهل الكتاب[١٢٧]، وقد وردت كلمة (أمّيّة) في حديث رسول الله ﷺ: ((نحن أمة أمية لا تحسب ولا تكتب)) [١٢٨]، ولكن علينا أن نعلم: أنّ من بين العرب من كان يحسن القراءة والكتابة (وكانوا يعرفون الأعداد ومضاعفاتها وكسورها) [١٢٩]، ولكن على الرغم من هذا، فالكتابة كانت فيهم عزيزة.

ومن هنا.. سُمّوا بـــ (الأميين) لأنهم كانوا لا يقرءون ولا يكتبون في الغالب.

وقيل سموا بـــ (الأميين) لأنّ اليهود يقولون عن غيرهم من الأُمم إنهم (جوييم) باللغة العربية، أي أمميون نسبة إلى الأمم بوصفهم هم شعب الله المختار، وغيرهم هم الأمم(١٣٠).

أما كلمة: (الجاهلية) الواردة في القرآن المجيد، والحديث الشريف، والشعر، فلا تعني المفهوم اللغوي: ضدّ العلم بشكل مطلق، وإنما هو مُحدد بعبادة الله وتعاليمه [إنّ لفظة الجاهلية مصطلح قرآني، لم ترد في استعمال العرب قبل نزول القرآن الكريم، والمصطلح القرآني هو استخدام خاص للفظ من الألفاظ يخصصه بمعنى معين لا يفهم من المعنى اللغوي على هذا النحو، فالصلاة في اللغة مثلاً هي الدعاء، والزكاة هي الطهارة، ولكن الصلاة في المصطلح القرآني هو تلك الهيئة الخاصة التي يقف فيها الإنسان بين مولاه راكعاً.

والزكاة هي تلك النسبة المعينة التي يؤديها المسلم من مالهِ لتنفق في مصارفها المحددة في كتاب الله، و(الجاهلية) كسائر المصطلحات القرآنية- لها معناها المحدد الذي يدخل بطبيعة الحال في أطار المعنى اللغوي العام، ولكنه يتخذ دلالته المحددة من استخدام القرآن له وتحديده لمعناه] (١٣١).

قال جلّ وعلا: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(١٣٢).

أي: إذا أمرتهم بالمعروف فجهلوا عليك فأعرض عنهم(١٣٣).

وهكذا الشأن في حال ورودها في الحديث الشريف، فقد قال ﷺ لأبي ذر وقد عيّر رجلاً بأمّه: ((إنك أمرؤ فيك جاهلية)) (١٣٤).

فأبو ذر ﷺ من الصحابة وضمن الطبقة الأولى، ولكن حينما يوجد الخلل مع الإسلام: تطلق الجاهلية، من هنا قال عمرو بن كلثوم التغلبي:

ألا لا يجهلـــن أحـــد علينـــا فنجهـل فـوق جهـل الجاهلينـا[١٣٥]

أي: لا يسفه علينا أحد، فنسفه عليه فوق سفههم. فالجاهلية معناها: الجهل، ولكن معناه الاصطلاحي في القرآن: هو إمّا الجهل بالحقيقة الألوهية (وهي الحالة العقلية)، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[١٣٦].

وإمّا أتباع غير ما أنزل الله (وهي الحالة النفسية والسلوكية) [١٣٧].

إذاً يبدو التفسير الصحيح للجاهلية إذا ما أطلقت في القرآن أو السنة أو في أي كتاب إسلامي هادف هي: **مجانية المنهج الرباني وليس الجهل الذي هو نقيض العلم.**

ومن ثم فهي ليست صفة للعرب قبل الإسلام، بل صفة للأمم التي حادت عن طريق الله وهي ليست مقرونة بزمن ومكان محددين[١٣٨]، فعمرو بن هشام الملقب بأبي الحكم، لُقّب في الإسلام بأبي جهل[١٣٩]، وحسبنا أن نقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[١٤٠].

وهنا تتهاوى الدعوى القائلة: إنّ لفظة الجاهلية في القرآن، أو في السُنّة تعني الجهل الذي هو ضد العلم فقط، وذلك للنيل من العرب والمسلمين معاً.

كما إن الأُميّة الواردة أيضاً في القرآن الكريم أو في السُنة المُطهّرة ليست على ظاهرها بشكل مطلق، وإذا ما عُمّمت فإنّه جزاف لا تدعمه حقائق التاريخ.

الخاتمة وأهم النتائج

بفضل الله ومنّه، أنهيت هذه الدراسة التاريخية بمطالبها الستة، وقد خلصت إلى النتائج الآتية:

١) إنَّ مكة المكرمة انفردت بمزايا متألقة، انطلاقاً من مكانتها الدينية، ولما حباها الله به من مآثر، فقد ارتبطت جغرافياً بالبيت العتيق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾.

٢) يتألف سكان مكة من طبقات ثلاث:

أ) الصرحاء أو الصليبة.

ب) الحلفاء.

ج) العبيد أو الأرقاء.

٣) المجتمع المكي شأنه شأن سائر الأمة العربية في الأخلاق، فمن العادات الحسنة التي جُبلوا عليها وأقرّها الإسلام: الكرم، الشجاعة، الوفاء بالعهد، الإحسان إلى الجار، الاغتسال من الجنابة، غسل الموتى وتكفينهم.

كما لديهم عادات شجبها الإسلام ومنها: الخمر والميسر، وعدم ميراث المرأة، وقتل الأولاد خشية الفقر.

٤) إنَّ ديانة المشركين تقوم على الإيمان بالله بأنه الخالق، وعلى الإيمان بتعدد الآلهة، وأنها رموز مُقرّبة إلى الله، وهو شرك، وعبادة غير مقبولة عند الله، بيد أنّه كان من بين العرب من نبذ عبادة الأوثان، وسُمّوا بـــ (الاحناف).

٥) مكة بلد غير ذي زرع، اعتمدت على التجارة وما يُجلب لها من الخارج، ومما ساعد نُمّو تجارتها موقعها الجغرافي وارتباطها بالبيت الحرام، وكان لهم رحلتان في العام: رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام.

٦) إنّ نظام الحكم في مكة، يتكوّن من أشخاص تُؤهلهم قدراتهم لقيادة الناس، وقد أثبت رجال الملأ نجاحهم في كثير من حسم المنازعات، ولم يكن في مكة جيش نظامي، فهي مجتمع قبلي، وهي بذلك مصدر للقوة السياسية والدفاعية، ووحدة أهل مكة يُفسّر شدة مقاومتهم للإسلام.

ولذلك نزل القرآن العظيم، بلهجتهم، وفي مكة كانت المعلقات التي اختيرت من بين سائر الشعر العربي.

٧) وما ورد في القرآن الكريم من كلمتي (الأُميّة- والجاهلية)، فليس على ظاهرهما، فكلمة الأُميّة لا تعني ضدَّ القراءة الكتابة، وإنما وصف لما كان عليه العرب مِنْ ندرة مَنْ يُحسن القراءة والكتابة، فسُمّوا بـــ (الأميين) لأنهم في الغالب لا يقرءون ولا يكتبون.

وكذلك كلمة (الجاهلية) لا تعني المفهوم اللغوي: ضدّ العلم بشكل مطلق، إنما هو مُحدّد بعبادة الله وتعاليمه، وحيثما وجد الخلل مع الإسلام، تطلق كلمة (الجاهلية)، وإذا ما عُممّت فإنه جُزاف لا رصيد له من الواقع التاريخي.

الهوامش

(١) سورة آل عمران: آية ٩٦.

(٢) الأصفهاني، أبو الفجر علي بن الحسين بن محمد، (ت ٣٥٦هـ)، القاهرة، مطبعة مصورة عن دار الكتب، ١٩٦٣م: ٣١٣.

(٣) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م: ص٩٣؛ العمري، د. أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والفكر، ١٩٩٣م: ١/٨.

(٤) سورة البقرة: آية ١٢٧.

(٥) سورة الحج: الآية ٢٦.

(٦) الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الرحمن الحمصي، (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م:٨/١٨٧؛ البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، (ت٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، بيروت، ١٩٤٥م: ص٥٠؛ الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ، القاهرة، دار الفكر، ١٩٦٥م، ط٢: ص٩٥.

(٧) سورة إبراهيم: آية ٣٧.

(٨) العلي، د. أحمد صالح، محاضرات في تاريخ العرب، بغداد، ١٩٥٥م: ص٧٧-٧٨.

(٩) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي، (ت٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: د. مفيد محمد قبحة، بيروت، دار الهلال، ١٩٨٦م: ٣/٣٢٠.

(١٠) سالم، د. عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مصر، جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨م، ص ٤٣٥.

(١١) ابن هشام، محمد بن عبد الملك النحوي، (ت٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥م: ٢٥٨.

(١٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/٤٢٠؛ الأصفهاني، الأغاني: ١/٦٥؛ الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول: ص٢٢٨-٢٢٩.

(١٣) القبيلة: جماعة من الناس ينتمون أو يزعمون بأنهم ينتمون إلى جدٍّ واحد، انحدرت منه، ويسكنون في الغالب منطقة واحدة ينتقلون في أرجائها إلى ما جاورها من المناطق إذا دعت الحاجة، تربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة. ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي، (ت٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٨م:٤٢٤/٢. فعصبية القبيلة موروث بين أشخاص إذ يقدم الإنسان نفسه للموت في معركة من أجل شرف القبيلة وكرامتها. قطب، محمد، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة القدس، ١٩٩٩م، ط١: ص٨٤.

(١٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٠٣/١.

(١٥) المصدر نفسه: ٦١٧/١.

(١٦) الحجابة: هي قفل البيت الحرام وفتحه للزائرين، وكانت هذه الوظيفة حينما جاء الإسلام بيد عثمان بن طلحة من بني عبد الدار.

(١٧) السقاية: هي توفير الماء لشرب الحجاج في موسم الحج، فصنع قصي حياضاً للماء من أرم فيسقى فيها بمكة ومن عرفة. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت٢٣٠)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م: ١٧٣/١.

(١٨) الرفادة: هي استضافة الحجاج في مكة وتوفير الطعام لهم في موسم الحج، ولصعوبة قيام شخص واحد باستضافة كافة الحجاج فقد دعا قصي قومه أن يساهموا معه في تغطية نفقات ذلك، فوافقوا على ذلك. ابن هشام، السيرة النبوية: ١٤٠/١.

(١٩) الندوة: هذه الدار بمثابة دار الحكومة الذي تدار فيه أمور قبيلة قريش كلها، وما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشورة فيما ينوبهم، كما كانت الدار المركز الذي تنطلق منه وتعود إليه القوافل التجارية. ابن هشام، السيرة النبوية:١٢٥/١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى:٧٠/٨.

(٢٠) اللواء: هو العَلَم الذي يحمل في المعارك وتدور حوله الحروب، وهو يرمز عادة لمن تكون بيده قيادة قومه في الحروب والمعارك. ابن هشام، السيرة النبوية: ١٢٥/١.

(٢١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٢٥/١؛ الشريف، د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة: ص ٩١٦.

[٢٢] علي، د. جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٤٤/٦.

[٢٣] سورة النحل: آية ٣٨.

[٢٤] مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٦م، ط١، باب النهي عن الحلف بغير الله.

[٢٥] سورة البقرة: آية ١٧٧.

[٢٦] سورة النساء: آية ٣٦.

[٢٧] سورة الذاريات: الآيتان ٢٦-٢٧.

[٢٨] ابن الهمام، كمال الدين الهام الحنفي، (ت٨٦١هـ)، فتح القدير، مصر، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٧٠م: ٩٨/٤.

[٢٩] علي، د. جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٤٣/٦.

[٣٠] مسلم، صحيح مسلم، باب خصال الفطرة، رقم (٢٦٠).

[٣١] البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، مكتبة الشروق بغداد، ١٩٩٠م: ص٣٤.

[٣٢] النووي، أبو الحسن، السيرة النبوية، لبنان –صيدا، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ: ١٠٨.

[٣٣] سورة المائدة: آية ٩٠.

[٣٤] سورة الأنعام: آية ١٥١.

[٣٥] سورة سبأ: آية ٣٥.

[٣٦] سورة الهمزة: الآيات ١-٩.

[٣٧] العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد الكناني، (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م: ١٥٦/٧؛ صحيح مسلم، رقم الحديث ٩٣٤: ٦٤٤/٢.

[٣٨] سورة المائدة: آية ٣.

[٣٩] حسن، د. حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م، ط٧: ٦٤/١.

[٤٠] الآلوسي، محمود شكري، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، عُني بجمعهِ وتصحيحهِ: محمد بهجت الأثري: ٦/٢.

(٤١) الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، مطبعة الاستقامة، بالقاهرة، ١٣٧٦هـ، ط٢: ١٧/١.

(٤٢) حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٦٥/١.

(٤٣) عتر، عبد الرحمن، خِطبة النكاح، مكتبة المنار- الأردن- الزرقاء، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ط١: ص١٣؛ كذا الكبيسي، د. عبد الحافظ، ويسألونك عن المرأة، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٨٨م، ط٢: ص١٣١-١٣٢.

(٤٤) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٤٦هـ: ٤٦٤/٤.

(٤٥) سورة النساء: الآية ٢٢.

(٤٦) مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث، ٢٥٣٩.

(٤٧) الآلوسي، محمود، بلوغ الإرب، ٤٣/٢؛ كذا الكبيسي، د. عبد الحافظ، ويسألونك عن المرأة، ط ٢: ص١٣٥-١٣٦.

(٤٨) الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ١٨٣/٨.

(٤٩) سورة النساء: آية ٣.

(٥٠) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتاب العلمية، طهران، (د.ت): ١٤٩/٩.

(٥١) الآلوسي، محمود شكري، بلوغ الإرب: ٤٢/٣؛ الكبيسي، د. عبد الحافظ، ويسألونك عن المرأة: ص١٣٣.

(٥٢) الخضري بك، محمد، محاضرات الأمم الإسلامية، ٢/١١؛ حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٦٥/١.

(٥٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١٦٩/٥؛ البحتري، أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، (ت٢٣١هـ)، ديوان الحماسة، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م: ٣٣٧/١.

(٥٤) سورة العنكبوت: الآيتان ٦١-٦٣.

(٥٥) الشعراوي، محمد متولي، المختار من تفسير القرآن العظيم، المكتبة الشريفة، مصر، ١٩٩٠م: ١٥٣/١.

(٥٦) سورة يونس: الآية ١٨.

(٥٧) سورة الأنعام: الآية ١٩.

[٥٨] الملاح، د. هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩١م: ص ٦١.

[٥٩] الحمس: ابن البلدة وابن الحرم الوطني المقيم الذي ينتمي إلى الكعبة والحرم، فقال القريشيون: نحن بنو إبراهيم وأهل الحزمة وولاة البيت وقاطنوا مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ومثل منزلتنا. ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١٦/١.

[٦٠] صحيح مسلم، حديث رقم ١٢١٩، ٨٩٥/٢؛ وسورة البقرة: من الآية ١٩٩.

[٦١] العمري، د. أكرم، السيرة النبوية الصحيحة:٨٦/١؛ وسورة الأنفال: الآية ٣٥.

[٦٢] سورة النحل: آية ٣٨.

[٦٣] ابن هشام، السيرة النبوية: ٧٧/١؛ ابن الكلبي، أبو المنذر، هشام بن محمد بن السالب، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ-١٩٢٤م: ص٨-٩. " هبل": كان من العقيق الأحمر على صورة إنسان وكان مكسور الذراع الأيمن، فأبدله القريشيون ذراعاً من ذهب، وقيل: جيء به من قضاء هيت أحد أقضية محافظة الأنبار ونصب في بطن الكعبة على بئر الأحنف.

[٦٤] الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: ٥٥/١.

[٦٥] حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٧١/١.

[٦٦] سورة النجم: الآيات ١٩-٢٠.

[٦٧] البوطي، فقه السيرة: ص ٤٠.

[٦٨] حسن، د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٧٣/١.

[٦٩] جاء في كتاب الأصنام: ص٣٧. أخذ هؤلاء يفكرون فاهتدى ورقة وعثمان إلى النصرانية، والتبس الأمر على عبيد الله فبقي على حالهِ حتى ظهر الإسلام فأسلم ثم هاجر إلى الحبشة وهناك تنصر، أما زيد فلم يدخل النصرانية ولكنه أبعد الأصنام عن نفسه.

[٧٠] ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٢٣/١.

[٧١] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٨٠م، ط٤: ص٣٥.

[٧٢] الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: ٦٥/١، الفرق بين الصنم والوثن: قيل، كان معمولاً من الخشب أو الذهب أو الفضة كصورة إنسان (فهو

صنم) وإذا كان من الحجارة فهو (وثن). الأصنام: ص٥٣. وقيل: الصنم، صورة بلا جثة. الوثن: كل ما له جثة من جواهر الأرض ومنهم من لا يفرق بينهما. أبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار الفكر، ١٩٥٦م: ٤٣٣/١٤، ٢٤١/١٥.

(٧٣) صحيح البخاري: ٥١١/٨-٥١٢؛ وسورة نوح: الآية ٢٣.

(٧٤) ابن كثير، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن كثير، الدمشقي القريشي، (ت٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م: ط٣.

(٧٥) الجميلي: د. خضير عباس فياض، دور قريش قبل الإسلام، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة إلى مجلس معهد الدراسات القومية والاشتراكية في الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦م: ص١٤.

(٧٦) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ط٢:٥٧/٤؛ الواقدي: محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق: د. مارسدن جونس، مطبعة جامعة أوكسفورد، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م: ٦٥/١.

(٧٧) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، (ت٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حمد الله، مطابع المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م: ٥٩/١.

(٧٨) سورة قريش: آيات ١-٦.

(٧٩) الخضري بك: محاضرات في تاريخ العرب: ص٨٤.

(٨٠) البلاذري: أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ص٦٨.

(٨١) كان الربا يبلغ أحياناً أضعاف القرض نفسه فتأكل بذلك أموال المدينة وتذهب حقوق الأفراد. الشريف: د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية، وعصر الرسول ﷺ: ص ١٣.

(٨٢) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب، تدقيق: أسعد داغر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م، ط٦: ٥٨/٢.

(٨٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قريش): ٣٣٤/٢.

(٨٤) سوق عكاظ: من أهم الأسواق قبل الإسلام، إذ لم يقتصر على البيع والشراء، وإنما كان المنتدى العلمي والشعري، حيث أصبح مضرب الأمثال في كثرة الناس فيه.

وعكاظ: نخل في واد بين مكة والطائف. القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم، الأمالي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٦م: ص ٢٥٦.

(٨٥) سوق مجنّة: موضع قرب مكة بمر الظهران أعلى مكة، الأفغاني: سعيد، أسواق العرب الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٠م، ط٢: ص ٩٦.

(٨٦) سوق ذي المجاز: موضع بمنى بين مكة وعرفة. وتقام بعد انتهاء سوق عكاظ لمدة عشرة أيام، وهي الكنانة وأرضها من أرض كنانة، وهي التي يقول فيها بلال البحشي:

إلا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي أذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

ج

الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، (ت٢٤٤هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي صالح، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩م، ط٥: ص١٩١.

(٨٧) الخضري بك: محمد، محاضرات في تاريخ العرب: ص ٩٦.

(٨٨) سالم: د. عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب، جامعة الاسكندرية، مصر، ١٩٦٨م: ص ٥١٢-٥١٣.

(٨٩) سورة لقمان: آية ٣٧؛ سورة الأنعام: آية ٧؛ سورة الغاشية: الآيات ١٢-١٦؛ سورة الرحمن: الآيات١٤ و ٧٤؛ سورة الإنسان: آية ١٦.

(٩٠) هيكل: محمد حسين، حياة محمد ﷺ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣م، ط٨: ص٣٨.

(٩١) علي: د. جواد، تاريخ العرب في الإسلام: ص ٦٨.

(٩٢) الشريف: د. أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ: ص١٠٣.

(٩٣) ابن كثير: أبو الفداء، البداية والنهاية: ١٩٢/٢.

(٩٤) الملأ: هم رؤساء العشائر الذين عدوا أنفسهم متساوين من حيث المبدأ واقتسموا المناصب فيما بينهم، ويقابله في مصطلحاتنا (مجلس الوزراء).

وذكر المؤرخون بعض هؤلاء الرؤساء: قصي بن كلاب، عبد مناف، عبد المطلب، هشام ابن المغيرة، قيس بن عدي بن سهم، عبد الله بن جدعان، أبو سفيان.

[٩٥] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣١٣/٢-٣١٥.

[٩٦] الآلوسي: محمود شكري، بلوغ الإرب: ٢٤٨-٢٤٩.

[٩٧] الملاح: د. هاشم، الوسيط: ص ٥٠.

[٩٨] الآلوسي: محمود شكري، بلوغ الإرب: ١٨٧/٢.

[٩٩] العمري: د. أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة: ٨٠/١.

[١٠٠] ابن هشام، السيرة النبوية: ٤/٢-٥.

[١٠١] مغازي، الواقدي محمد بن عمر: ص ٢٩٠.

[١٠٢] الخضري بك، محاضرات في تاريخ العرب: ص ١٥٢.

[١٠٣] العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة: ٨٠/١.

[١٠٤] علي: د. جواد، تاريخ العرب في الإسلام: ص٧٦.

[١٠٥] الكبيسي: د. عبد الحافظ، خصائص المجتمع المكي في عصر النبوة والخلافة الراشدة، بيروت، دار اليمامة، ٢٠٠٨م: ص٥١.

[١٠٦] الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٨٥م، ط٥: ٨/١.

[١٠٧] سورة الأحزاب: آية ١٩.

[١٠٨] سور الحشر: آية ٢.

[١٠٩] سورة إبراهيم: آية ٤٦.

[١١٠] الدليمي: موفق عبد الرزاق خلف، تصوير القرآن الكريم للمجتمع الجاهلي، رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية، ببغداد، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ص٨٩.

[١١١] سورة إبراهيم: آية ٤.

[١١٢] سورة الشورى: آية ٧.

[١١٣] حسن: د. إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي: ٦٦/١.

[١١٤] دروزة: د. محمد عزة، عصر النبي ﷺ، وبيئته قبل البعثة، بيروت، دار اليقظة العربية، ١٩٦٤م: ص٤٤٠.

[١١٥] الجاحظ: أبو عثمان عمرو، البيان والتبيين: ٧٦/٤.

[١١٦] الزبير بن بكار: أبو عبد الله الزبير، (ت٢٥٦هـ)، جمهرة نسب قريش أخبارها، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٦١م: ٣٧٣/١.

[١١٧] العلي: د. صالح أحمد، الدولة في عهد الرسول ﷺ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م: ص٤٣٦.

[١١٨] البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان: ص ٤٥٧.

[١١٩] ابن سعد، محمد بن سعد، (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠م: ٢٢/٢.

[١٢٠] سورة القلم: آية ١.

[١٢١] سورة القلم: آية ٣٧.

[١٢٢] سورة القلم: آية ٤٧.

[١٢٣] ابن هشام: السيرة النبوية: ٣٧٤/١.

[١٢٤] سورة الجمعة: آية ٢.

[١٢٥] ٣/٣٠.

[١٢٦] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م: ٣٦٣/٤.

[١٢٧] أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، كتاب الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٩٣٣م، ط٢: ص١٢١.

[١٢٨]صحيح البخاري، رقم ١٧٨٠، صحيح مسلم: رقم ١٨٠٦.

[١٢٩] أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم، الخراج: ص٢٦-٢٧.

[١٣٠] قطب: سيد، في ظلال القرآن، أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م: ٩٣/٨.

[١٣١] قطب: محمد، رؤية إسلامه لأحوال العالم المعاصر، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٩٩١م، ط١: ص١٤.

[١٣٢] سورة الأعراف: آية ١٩٩.

[١٣٣] القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م: ٣٤٤/٧.

[١٣٤] مسلم: صحيح مسلم في باب الإيمان ٣٨، ابن حنبل، أحمد، (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، مصر، المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ: ١٦١/٥.

[١٣٥] أمين: أحمد، فجر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م، ط١٠: ص٨٧.

[١٣٦] سورة الزمر: آية ٦٤.

(١٣٧) قطب: محمد، كيف نكتب التاريخ: ص٤٢.

(١٣٨) علي: د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢م: ٣٧/١.

(١٣٩) القيسي: د. نوري حمودي وآخرين، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩م.

(١٤٠) سورة الأنعام: آية ١٤٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

أولاً: المصادر:

❖ **الأزرقي:** أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، (ت ٢٢٣هـ).

١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح، مكة المكرمة، ١٩٨٨م، ط ٥.

❖ **البلاذري:** أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، (ت ٢٧٩ هـ).

٢) أنساب الإشراف، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة، مطابع المعارف، ١٩٥٩م.

❖ **الأصفهاني:** أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، (ت ٣٥٦هـ).

٣) الأغاني، القاهرة، طبعة مصورة من دار الكتب، ١٩٦٣م.

❖ **الجاحظ:** أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥ هـ).

٤) البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام، محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٥م، ط٩.

❖ **ابن كثير:** أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي القريشي، (ت ٧٤٤ هـ).

٥) البداية والنهاية، تحقيق: د. أحمد ملحم، بالاشتراك ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ط ٣.

❖ **الرازي:** أبو عبد الله بن محمد الملقب بفخر الدين الرازي، (ت ٦٠٦هـ).

٦) التفسير الكبير، طهران، دار الكتب العلمية، (ت. ت).

❖ **الطبري:** أبو جعفر بن جرير، (ت ٣١٠ هـ).

٧) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ط٤.

❖ **الزبير بن بكار:** أبو عبد الله الزبير، (ت ٢٥٦ هـ).
٨) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج١، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٦١م.
❖ **القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت ٦٧١هـ).
٩) الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٢م.
❖ **أبو يوسف:** يعقوب بن إبراهيم، (ت١٨٣هـ).
١٠) الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٢هـ.
❖ **الجميري:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت٩٠٠هـ).
١١) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.
❖ **ابن هشام:** محمد بن عبد الملك النحوي، (ت٢١٨هـ).
١٢) السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٨م.
❖ **ابن كثير:** أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الدمشقي القريشي، (ت٧٧٤هـ).
١٣) السيرة النبوية، تحقيق: أحمد ملحم بالاشتراك، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
❖ **البخاري:** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت٢٥٦هـ).
١٤) صحيح البخاري، بيروت، لبنان، عالم الكتب، (ب، ت).
❖ **مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ).
١٥) صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ١٩٥٦م.

❖ **ابن سعد:** أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت٢٣٠هـ).

١٦) الطبقات الكبرى، بيروت، لبنان، دار صادر، ١٩٥٧م.

❖ **ابن عبد ربه:** أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي، (ت٣٢٨هـ).

١٧) العقد الفريد: بيروت، دار الهلال، ١٩٨٦م.

❖ **العسقلاني:** ابن حجر أحمد بن علي بن محمد الكناني، (ت٨٥٢هـ).

١٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، (١٤١٠هـ).

❖ **الزمخشري:** محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ).

١٩) الكشّاف عن وجوه التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مصر، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٤٨م.

❖ **ابن منظور:** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ).

٢٠) لسان العرب، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٦م.

❖ **الواقدي:** أبو عبد الله محمد بن عمر، (ت٣٠٧هـ).

٢١) المغازي، تحقيق: مارسون جونس، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م.

❖ **ابن قتيبة:** أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري، (ت٢٧٦هـ).

٢٢) المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٨٠م.

❖ **المسعودي:** أبو الحسن علي بن الحسني، (ت٣٤٦هـ).

٢٣) مروج الذهب، تحقيق: أسعد داغر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م، ط ٦.

❖ **ابن حنبل:** أحمد، (ت٢٤١هـ).

٢٤) مسند الإمام أحمد، مصر، المطبعة اليمنية، ١٣١٣هـ.

❖ **الحموي:** ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحمصي، (ت٦٢٦هـ).

٢٥) معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م.

❖ **البكري:** أبو عبد الله بن عبد العزيز، (ت٤٨٧هـ).

٢٦) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٤٥م.

ثانياً: المراجع:

٢٧) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٠م.

❖ **حوى: سعيد.**

٢٨) الأساس في السُنّة وفقهها- السيرة النبوية- الأردن، عمان، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.

❖ **الآلوسي: محمود شكري.**

٢٩) بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، عُني بجمعهِ وتصحيحه: محمد بهجت الأثري.

❖ **رضا: رشيد، (ت١٣٥٤هـ).**

٣٠) تفسير المنار، القاهرة، مطبعة المنار، ١٣٤٦هـ.

❖ **حسن: د. إبراهيم حسن.**

٣١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٦٤م، ط ٤.

❖ **العلي: د. جواد.**

٣٢) تارخ العرب قبل الإسلام، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٧م.

❖ **القيسي: د. نوري حموي، وآخرين.**

٣٣) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، بغداد، دار الحرية، ١٩٧٩م.

❖ **الجميلي: د. رشيد.**

٣٤) تاريخ الإسلام في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية، بيروت، ١٩٧٢م.

❖ **هيكل: محمد حسين.**

٣٥) حياة محمد، القاهرة، مطبعة النهضة، ١٩٦٣م، ط٨.

❖ **عتر: د. عبد الرحمن.**

٣٦) خِطبة النكاح، الأردن، الزرقاء، ١٩٨٥م، ط١.

❖ **البوطي: د. محمد سعيد رمضان.**

٣٧) فقه السيرة، بغداد، مكتبة الشرق الجديد، ١٩٩٠م.

❖ **قطب: سيد.**

٣٨) في ظلال القرآن، لبنان، أحياء التراث العربي، ١٩٦٧م، ط٥.

❖ **سالم: د. عبد العزيز.**

٣٩) دراسات في تاريخ العرب، مصر، جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨م.

❖ **أمين أحمد:**

٤٠) فجر الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م، ط ٦.

٤١) ديوان الحماسة، البحتري، أبو تمام، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م.

❖ **قطب: محمد**

٤٢) كيف نكتب التاريخ الإسلامي، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، مكتبة القدس، ١٩٩٢م.

❖ **الندوي: أبو الحسن علي الحسيني**

٤٣) السيرة النبوية، لبنان، صيدا، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ.

❖ **العمري: د. أكرم ضياء.**

٤٤) السيرة النبوية الصحيحة، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والفكر، ١٩٩٣م.

❖ **الشريف: د. أحمد إبراهيم.**

٤٥) مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ، بيروت، دار الفكر العربي، (ب، ت)، ط٢.

❖ **الخضري بك: محمد**

٤٦) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٣٧٦هـ، ط٧.

❖ **العلي: د. جواد**

٤٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢م.

❖ **الشعراوي: محمد متولي**

٤٨) المختار من تفسير القرآن العظيم، مصر، المكتبة الشرعية، ١٩٩٠م.

❖ **الملاح: د. هاشم يحيى**

٤٩) الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، جامعة الموصل، ١٩٩١م.

❖ **الكبيسي: د. عبد الحافظ**

٥٠) ويسألونك عن المرأة، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٨٧م، ط٢.

٥١)